Colore and semiotic ecarts in the models of the Nadeem Mohamad

Dr. Taiser slman jraykos*
Basem Hassan Abbas**

(Received 8 / 8 / 2019. Accepted 26 / 9 / 2019)

□ ABSTRACT □

This study is an attempt to highlight the impact that pumping vocabulary in the composition of poetry, and is no doubt that the semiotic this vocabulary effectively contribute in giving a recipe poetic text, because they represent the signs of semantics as diverse contexts in which they are contained, and the dynamism achieved from a damaged vocabulary within the same topic opens up new horizons, and pave the way for a variety of readings, according to the ability of the recipient language, cognitive and proceeds, hence the emphasis on the singular in construction as a key text for reproduction again.

Keywords: Colore – singular – Nadeem Mohamad

* **Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
** **Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

اللون وانزياحات الدّلالة في شعر نديم محمّد

د. تيسير سلمان جريكوس*

باسم حسن عبّاس**

(تاريخ الإيداع 8 / 8 / 2019. قبل للنشر في 26 / 9 / 2019)

□ ملخّص □

هذهِ الدّراسةُ محاولةٌ لتسليطِ الضّوءِ على الأثر الذي تنتجهُ المفرداتُ النّصّيّةُ في التّشكيلِ الشعريّ، وممّا لاشكَّ فيه أنَّ المفرداتِ تسهمُ بشكلٍ فعّالٍ في إضفاءِ صفةِ الشّعريّةِ على النّصّ، لأنّها تمثّلُ علاماتٍ تشيرُ إلى دلالاتٍ متنوّعةٍ بتنوّعِ السّياقاتِ التي تردُ فيها، كما أنَّ الدِّناميّةَ المتحقّقةَ من تفاعلاتِ المفرداتِ / الدّوالِ داخلِ الموضوعِ الواحدِ تفتحُ آفاقاً جديدةً، وتمهّدُ لقراءاتٍ متنوّعةٍ وفاقاً لنِضجِ المتلقّي وحصيلتهِ اللّغويّةِ المعرفيّة، ومن هنا كانَ التّركيزُ على المفردِ في البناءِ النّصّيِّ بوصفه مفتاحاً لإعادة الإنتاجِ من جديدٍ.

الكلمات المفتاحيّة: اللّون – المفرد – نديم محمّد.

* أستاذ ، قسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

** طالب ماجستير ، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مقدّمة:

للّون تاريخ طويل يبدأ ببداية الإنسان، وأهميّة اللّون قديمة قدم الإنسان؛ إذ يعدّ اللّون عنصراً من عناصر الجمال، ولا يمكن تذوّق الجمال بعيداً عن الألوان، وقد استطاع الشّعراء محاكاة هذا العنصر الجماليّ، وتوظيفه في بناء القصيدة وانسجامها، ولم ينفرد أحد من الشّعراء بخاصيّة استخدام الألوان، وإنّما انفردوا بطريقة استخدامها، ونظراً لأهميّة اللّون في الشّعر، وأهميّته عند الشّاعر**نديم محمّد**، قمت بدراسة دلالة اللّون عند هذا الصّوت الشعريّ المميّز.

وقد قسّمت دراستي إلى محورين؛ ففي المحور الأوّل (المدخل النّظريّ) وقفت عند اللّون لغةً واصطلاحاً، ثمّ انتقلت إلى الحديث عن دلالاتِ اللّون في العربيّة (القرآن الكريم، العرف الاجتماعيّ، الشّعر) وقد ختمت هذا المحور بالحديث عن دلالات الألوان في التّراث العربيّ، وقرأت في المحور الثّاني (المدار التّطبيقيّ) الألوان عند نديم محمّد قراءةً تحليليّة.

أهميّة البحث وأهدافه:

تأتي أهميّة البحث من جدّته، فهو يدرس الألوان في أثناء انزياحاتها النصيّة داخلَ ديوانِ الشّاعر نديم محمّد الذي لم يلقَ عناية الدّارسين الوافيةَ من ناحيةٍ، كما يسهمُ البحثُ – من ناحيةٍ ثانيةٍ – في الولوج إلى شعريّة اللّغة من باب التّيمات النصّيّة (تيمة اللّون) التي تقع في فضاءات التحقّقات بإمكاناتها الإيحائيّة الكامنة، ولا تغفلُ الدّراسةُ التّركيز على المعطى المضمونيّ للدّال النصّيّ وفاقاً لتعالقاتِهِ السّياقيّة من ناحيةٍ ثالثةٍ.

منهجيّة البحث:

إنَّ التّحليلَ الوصفيّ النصّيّ هو المنهجُ الذي ستعتمدُ عليهِ هذه الدّراسةُ من خلال تحديد تيمةِ اللّون موضوعةِ الانطلاقِ، وتوصيفها، واستنطاقِ مدلولاتِ انزياحاتها الشّاعريّة التي تضيفُ، وتثري، وترتقي بالنّصّ المقروءِ، ولاسيّما بالنّسبة إلى شاعرٍ إشكاليٍّ كنديم محمّد. وقد تقودُ التّحليلاتُ النصيّة إلى معطياتٍ جديدةٍ تكشفُ اللّثامَ عن جماليّاتٍ هاربةٍ لا تستطيعُ الدّلالاتُ القواعديّة الموجّهة على نحوٍ خارجيٍّ تحسّسَ آفاقِها الممكنةِ.

أوّلاً:

❖ **اللّون لغة واصطلاحاً:**

ورد معنى اللّون في معجم لسان العرب أنّه: "هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلون، ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، وقد تلون ولون ولونه، والألوان الضروب، واللّون النوع، وفلان متلوّن إذا كان لا يثبت على خلق واحد، واللّون الدّقل وهو: ضرب من النّخل"[1].

وفي مقاييس اللّغة "واللام والواو والنون: كلمة واحدة وهي لون الشيء كالحمرة والسواد"[2].

يبدأ هذا اللفظ باللام التي تدل على دخول شيء في شيء آخر، مما يشير إلى تركيب اللّون من عناصر عديدة في صورة واحدة، يظهر منها العنصر الذي يسود إلى من غيره في هذا التركيب المتداخل.

وورد في الصّحاح أنّ اللّون: "هيئة كالسواد والحمرة. ولونته فتلون. واللّون: النّوع، وفلان متلوّن إذا كان لا يثبت على خلق واحد"[1].

[1] **لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر، 1955 م، مادة (لون).**

[2] **مقاييس اللّغة، أبو حسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت دار الفكر، فصل اللّام والنون وما يثلثهما، ص5.**

أمّا اللّون اصطلاحاً فهو "خاصة ضوئية تعتمد على طول الموجة، ويتوقف اللّون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه"[2].

واللّون في الحقيقة هو طاقة مشعة لها طول موجي، يختلف في تردده وتذبذبه من لون إلى آخر، وتقوم المستقبلات الضوئية في الشبكة باستقبالها، وترجمتها إلى ألوان، وتحتوي الشبكة على ثلاثة ألوان هي الأخضر، والأحمر، والأزرق، وبقية الألوان تتكون من زوج هذه الثلاثة، وقد اكتشف العلماء أنه عندما تدخل طاقة الضوء إلى جسم فإنها تنبه الغدة النخامية، والجسم الصنوبري مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية، وبالتالي السيطرة المباشرة على تفكيرنا، ومزاجنا وسلوكياتنا[3].

❖ **اللّون في القرآن الكريم:**

وردت الألوان في القرآن الكريم في مواضع عدة بصيغة المفرد والجمع، أما صيغة المفرد (لون) فوردت مرتين في آية واحدة من سورة البقرة (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)[4]. وفي هذه اللّفظة (لونها) تحديد لماهية اللّون.

وأما لفظة ألوان فوردت في سبعة مواضع في ست آيات منها قوله تعالى:

{ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون}[5].

ومنها ما ورد عن الحديث في النحل في سورة النحل في قوله تعالى:

{ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون}[6].

وقد وردت لفظة (ألوان) على الثمار المختلفة والجبال مختلفة الألوان، وكذلك وردت على الناس والدواب، وعلى الزروع مختلفة الألوان ....

أمّا دلالات الألوان في القرآن الكريم فقد برزت سبعة ألوان في القرآن الكريم ضمن خمس وخمسين آية منزلة، في تسع وثلاثين سورة، موزعة على ست وثلاثين وتكررت ست سور بآيات عددها ثماني عشرة آية مناصفة بين مكية ومدنية.

واللّون الأبيض أكثر الألوان وروداً في القرآن الكريم، فقد احتل المرتبة الأولى، مثال قوله تعالى:

{ يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه } [7]، وقد ذكر اثنتي عشرة مرة في اثنتي عشرة آية.

أمّا أوّل الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد ذكر خمس مرات في خمس آيات هو اللّون الأصفر في قوله تعالى: {قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين}[1]، وفي موضع آخر: {ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون}[2].

---

[1] **مختار الصّحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار المعرفة للطباعة والنشر، باب (لون).**

[2] **الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال وزملاؤه، مج2، دار نهضة لبنان. بيروت، 1986 م، ص1581.**

[3] **ينظر: الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، سليمان بن علي الشعيلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، م2، العدد3، 2007م، ص62.**

[4] **سورة البقرة: 69.**

[5] **سورة النحل: 13.**

[6] **سورة النحل: 69.**

[7] **سورة آل عمران: 106**

❖ **اللّون والقداسة في العرف الاجتماعي:**

أدخل الإنسان القديم في حضارات الفراعنة الألوان في طقوسه وعباداته، فظهرت الأثواب المكرسة للصلاة يغلب عليها اللّون الأحمر القرمزي، والأصفر الفاتح، والأزرق السماوي، ثمّ استعملت تلك الألوان في طلاء جدران المعابد والهياكل المقدسة، وصار لكل لون رمز ومرتبة، وفي بلاد ما بين النهرين، صنفت الألوان صنفين: أحدهما ترتديه الأسرة المالكة، والآخر لعامة الشّعب[3].

وفي العرف العام هناك تعريفات جاهزة للألوان ودلالاتها، وهي في الغالب مستوحاة من الثّقافة المعيشة دون إسقاطات رمزية متوارية، فالأسود حزن وكآبة، والأبيض نقاء وطهارة، والأخضر سلام، والأحمر حب أو ثورة، أمّا في لغة الورود فالأحمر دلالة على الحبّ، والأصفر على الغيرة، والأبيض على النّقاء والصداقة، وعلى الرّغم من أن الأزرق من الألوان الشديدة الحضور إلا أنّ الثقافة الشعبية استبعدته من حساباتها، فانضمّ إلى البنّي واللّيموني[4].

ومع مرور الزمن وتطور الإنسان، تطور معجمه اللّوني، واكتسبت الألوان وألفاظها إلى جانب دلالاتها الحقيقية دلالات اجتماعية ونفسية جديدة نتيجة ترسبات طويلة، أو ارتباطات بظواهر كونية، أو أحداث مادية، أو نتيجة لما يملكه اللّون من قدرات تأثيرية، وما يحمله من إيحاءات معينة تؤثر على انفعالات الإنسان وعواطفه[5].

وقد كان للألفاظ دلالات اجتماعية في التراث العربي الشعبي، فاللّون الأسود مثلاً ارتبط بالتشاؤم والمناسبات الحزينة، والموت، وارتبط بالخوف من المجهول، واللّون الأبيض فقد حمل في التراث الشعبي دلالات الطهارة، والتفاؤل، والرضا.

أمّا ألفاظ الألوان ودلالاتها في التراث الدّيني فقد أعطت بعض الديانات للألوان قيمة خاصة، واتخذت لها دلالات رمزية، ومنها ما ربط ببعض الممارسات الدينية بألوان خاصة، فاللّون الأصفر مثلاً مقدس في المسيحية الأوروبية، وفي الصين والهند أيضاً، وقد ارتبط بالشمس والضّوء واستخدمه قدماء المصريين رمزاً لإله الشّمس وهو لون الحكمة، والأمل، والتفاؤل....، واللّون الأبيض كان مقدساً منذ العصور القديمة، ومكرساً لإله الرومان، وكان يضحى له بحيوانات بيض[6].

❖ **الألوان ودلالاتها في التراث العربي:**

الدّلالة في العربية فهي من قولهم: "دل على شيء يدله دلاً ودلالة فاندل سدده إليه. والدليل: ما يستدل به. والدليل: الدال وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة ودلولة والفتح أولى"[7].

ولعل الدلالة، فرع من فروع علم اللّغة الذي يتناول نظرية المعنى[8]، وهو علم يدرس دلالات الألفاظ وتطورها، وتعبر كل نظرية فيه عن زاوية مناسبة تتم دراستها، فالذين يعنون بالجانب النظري منه يضمنونه نظرية المعنى والعلاقة بين

---

[1] **سورة البقرة: 69.**

[2] **سورة الروم: 51.**

[3] **ينظر: دلالات اللّون ورموزه في الشعر الجاهلي، سمران نديم متوج، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، 2004 م، ص185-190.**

[4] **ينظر: دلالة الألوان في شعر نزار قباني، أحمد عبد الله حمدان، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ص39.**

[5] **ينظر: اللغة واللّون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1997 ، ص199.**

[6] **ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داؤدي، ط1، دار القلم، دمشق، ص15.**

[7] **لسان العرب: جمال الدين محمد المصري بن منظور، دار صادر. ط1، بيروت، مادة (دلل).**

[8] **ينظر سيكولوجية اللغو والمرض العقلي، جمعة سيد يوسف، دار غريب للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 1997 م، ص107.**

اللفظ والمعنى، والدال والمدلول، والرمز والشيء، والذين يعنون بالجانب التطبيقي الحديث يلجون فيه على عناصر التطور[1].

أمّا بالنسبة إلى دلالة الألوان فهي عميقة الجذور تواكب الحياة العربية في بيئاتها المختلفة، وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل، وبالنّظر إلى دلالة الألوان بكونها متغيرة بتغير المؤثرات النفسية والمقاييس الذوقية يدلنا على ثبات كثير من الأحكام الصادرة عن دلالاتها؛ لأنّ بعض الدلالات تتغير بتغير الظروف، والزمن، وتأثير اللّون قد يتغير بتغير الحالة النّفسية للشخص الواحد، فللّون قدرة على الكشف عن شخصية الإنسان؛ لأنّ كلّ لون من الألوان يتعلّق بمفهومات معينة، ويمتلك دلالات خاصة.

أمّا أكثر الألوان استقراراً ووضوحاً في دلالته:

1- اللّون الأسود:

وهو أكثر الألوان هيمنة على حياة البشر، فهو رمز الحزن، والموت، والألم، ويدل على الخوف، والقلق، والهم، ومن دلالات اللّون الأسود التشاؤم، والخوف من المجهول، والميل إلى التكتم، وهو رمز لخيبة الأمل، وأحياناً يرمز إلى الحكمة والوقار.

2- اللّون الأبيض:

يحتل اللّون الأبيض المرتبة الثانية بعد الأسود حسب تميز الألوان عند الشعوب المختلفة، ويعتبر من الألوان الباردة، التي تثير الهدوء[2].

والعرب تعطي اللّون الأبيض دلالات الصفاء، والنقاء، والهدوء، والأمل، والبراءة، والصدق، والأمانة، ويدل اللّون الأبيض على الانطلاق والإشعاع، وفيه دلالة على البساطة وعدم التقيد والتكلف، واللّون الأبيض رمز العفة والسلام، وأحياناً يرمز إلى الاستسلام.

3- اللّون الأحمر:

وهو من الألوان "الساخنة الممتدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة"[3]، واللّون الأحمر لون القوة، والنشاط، والحيوية، لون الفرح والسعادة، لون الحب والعشق، وأحياناً يرمز إلى القتال والعنف.

4- اللّون الأصفر:

وهو أحد الألوان الساخنة، فهو يمثل قمة التوهّج والإشراق، ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنّه لون الشّمس ومصدر الضوء، وأهمية الحرارة، والحياة، والنشاط، والغيظة، والسرور[4].

ويدلّ اللّون الأصفر على حدة الذكاء والعقل، ولكن يدل أحياناً على الذبول، والشحوب، والجفاف، والمرض، واللّون الأصفر فيه جذب للانتباه.

---

[1] **ينظر: علم الدلالة، محمد علي الخولي، الأردن، دار الفلاح، 2001 م، ص13.**

[2] **ينظر: الإضاءة المسرحية، عبد الوهاب شكري، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985 م، ص85.**

[3] **اللّغة واللّون، أحمد مختار عمر، ص201.**

[4] **ينظر: الإضاءة المسرحية، عبد الوهاب شكري، ص76.**

5- اللّون الأخضر:

يعد اللّون الأخضر من أكثر الألوان وضوحاً واستقراراً في دلالته، وهو من الألوان المحببة ذات الإيجارات المبهمة، لارتباطه بأشياء مهمة في الطبيعة أصلاً، كالنباتات والأحجار الكريمة، ثم جاءت المعتقدات الدينية، وغذت هذا الاعتقاد لارتباطه بالخصب والشباب وهما مبعث فرحة الإنسان[1].

واللّون الأخضر هو لون الحياة، والسرور، والحركة، يدل على السلام، والأمان، والتفاؤل، وهو لون الربيع والطبيعة الحيّة، والحدائق والأشجار، فهو تعبير عن الحياة، والخصب والنماء، ويدل أيضاً على التجدد، والنمو، والشباب، يقال: "شارب أخضر للدلالة على بداية الشباب"[2]. واللّون الأخضر فيه دلالة على البراءة، يقال "قلب أخضر دلالة على البراءة"[3].

❖ **اللّون عند علماء العرب:**

إن بعض البلاغيين، والنقاد، والفلاسفة، والفقهاء العرب قد تناولوا اللّون في دراساتهم، ومن أشهر بلاغيي العرب ونقادهم: الجاحظ، وابن بطوطة، وابن سنان الخفاجي، وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني.

ومن البلاغيين مثلاً عبد القاهر الجرجاني الذي ذكر العلاقة بين الشعر والرسم، وأكد التقارب بين صفة المبدع والرسام، فكلاهما يقدم عمله حسياً، وأدرك الجرجاني أنّ دلالة الألوان تنحو منحى نفسياً، وقد أشار حازم القرطاجني إلى هذه العلاقة، وقد قال عن المحاكاة: "إن المحاكاة كالمسموعات تجري من السمع مجرى الملونات من البصر....."[4].

ويرى ابن سنان الخفاجي أنّ تآلف حروف الكلمة في السمع كتآلف الألوان في مجرى البصر[5].

أمّا أشهر الفلاسفة الذين تحدثوا عن اللّون: الكندي، ومحمد الفارابي، فالكندي يرى أن الحس لا يدرك الصورة إلى في طينتها، أمّا الفارابي فذكر خمس حواس ظاهرة، وخمس حواس باطنة، فالظاهرة هي التي تدرك المحسوسات الخمسة المعروفة، من القوة الباهرة تحس الألوان والأشكال والأجسام[6].

ودلالة الألوان عند فلاسفة المسلمين تتيح للنص جملة من الإيحاءات والرموز، وتتسع دائرة إيحاء اللّون للتفسير والتأويل، بتضمنها معاني ورؤى أعم من المعنى الوضعي[7].

أمّا أبرز الفقهاء الذين نظروا في أهمية اللّون فهو ابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة) وكتاب (الأصول والفروع)، ففي كتابه (طوق الحمامة) يرى أن اللّون يتعدى الحس الخارجي، ليتصل بأجزاء النفوس النائية، فقد يبالغ بقوله إنّ المرأة البيضاء لزوج أبيض ترزق بولد أسود، إذا دامت في مضجعها تطالع اللّون الأسود بمعنى أن أثر اللّون النفسي يتجاوز سطح الحس إلى باطن الإدراك، ويتصور للون بريقاً وجاذبية تجذب مهما تحول النظر من خلف أو من أمام.

---

[1] **ينظر: اللغة واللّون، أحمد مختار عمر، ص210.**

[2] **المصدر نفسه، ص79.**

[3] **المصدر نفسه، ص80.**

[4] **منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم محمد الحبيب بن الخوجة، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981 م، ص104.**

[5] **ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، 1982 م، ص64.**

[6] **ينظر: الثمرة المرضية، محمد بن طرخان الفارابي، (د.ت) ، (د.م)، ص72-73**

[7] **ينظر: الصورة الشعرية، يوسف حسن نوفل، دار الاتحاد العربي، ط1، (د.ت)، ص7.**

ويرى ابن حزم في كتابه (الأصول والفروع) أن الأبعاد الثلاثة، الطول والعرض والعمق، ليست للون بل هي للجسم الحامل وحده، ويرفض ما عداها، وهو يرد بذلك على رأي هشام بن الحكم الذي ذهب إلى أن كل ما في العالم هو جسم، وعليه فالألوان أجسام، لأن الجسم إذا كان طويلاً عريضاً عميقاً فمن حيث وجدته وجدت اللّون والحركة والطول والعرض والعمق للّون أيضاً، فكان رد ابن حزم وحجته "إذ لو كان للون طول وعرض وعمق، غير طول الجسم وعرضه وعمقه، لاحتاج إلى مكان غير مكان الجسم على مقداره، ومن المحال أن يكون شيئان طول كل واحد منهما مقدار ما يعان معاً، في مكان مساحة أحدهما، ومالا سبيل في معقول"[1].

❖ **اللّون في الشّعر:**

يعدّ اللّون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة، فقد حاول الشاعر المبدع محاكاة الألوان الموجودة في الطّبيعة، وقام بترجمتها في صورة صادقة عن نفسه من خلال شعره. فاللّون يمثل ملمحاً جمالياً في الشعر، ويعد من أهم العناصر التي تشكل الصورة الأدبية، فهو عنصر مهم من عناصر البناء الفني بما يحمل من دلالات ذات علاقة مباشرة بالرؤية الفنية، والنص الأدبي أساساً يرتكز على مقومات منها اللفظ بدلالته العامة والخاصة، والإيقاع الموسيقي، والأسلوب الفني، ويشترك مع ذلك اللّون، فـ "دفء اللّون، كدفء الإيقاع، كدفء المعنى، كلها تخلق في العمل الفني طاقة خاصة، وتؤسس صورة جديدة وجميلة، وتكون لها طاقة مميزة تؤسس صورة جديدة ذات مدلولات متغيرة، تصبها في قالب جديد"[2]. وللّون دور كبير في الكشف عن إحساس الشاعر، وعن مشاعره المختلفة من حزن، وفرح، وسرور، و....، وعندما ندرس اللّون في الشعر لابدّ من ربطه بسياق النصّ الشعريّ، فالسياق الشعري هو الذي يحدد وظيفته وفاعليته، والأديب يستثمر الألوان لخلق التوازن، والتناسب، والوحدة، والانسجام لتحقيق الجمال في النص.

ثانياً:

أ- تعريف بنديم محمد:

نديم محمد شاعر "من أغنى شعراء هذا العصر وأغزرهم إنتاجاً، ولعله من حيث مادته الشعرية وغزارة إنتاجه، أكبر شعراء هذا العصر". [3]ولد عام 1908 م، في قرية عين شقاق في قضاء جبلة، "وقد وافته المنية في السابع عشر من كانون الثاني عام 1994 م، عن عمر ناهز التسعين"[4]، ولعل أشهر أعماله ديوان (آلام)، و(فراشات وعناكب). وهو شاعر الألم والكبرياء، شاعر الخيبات والاضطهاد، شاعر الحب والرومانسية، شاعر الوطنية والقومية، شاعر التمرد والرفض، وقد وصف نفسه ذات مرة بأنه شاعر الحزن والألم، والرفض؛ لأنّ حياته كلها ألم. نال إجازة في الآداب الفرنسية، واطلاعه على الحياة في الغرب، تزداد المعاناة لديه نتيجة الهوة بين الثقافة الفرنسية وثقافة البيئة التي عاشها[5]. كانت حياة نديم محمد مليئة بالمغامرات، وآلاف الأحداث والأفعال منذ طفولته، وقد حمل هموم مجتمعه، وكان من المهتمين بقضايا بلده والبلاد الأخرى لذلك سمي شاعر الوطنية القومية.

---

[1] الأصول والفروع، ابن حزم، ج1، ت: محمد عاطف وزميله، دار النهضة العربية، ط1، ص146-147.

[2] إيقاع الأزرق والأحمر في موسيقا القصيدة، عبد العزيزي المقالح، مجلة المعرفة، العدد 3/2، 1985 م، مكتبة الجامعة الأردنية، ص284.

[3] نديم محمد – سيرة حياة، وقراءة الشعر – ، جميل حسن، ج(1+2)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2000 م، ص9.

[4] نديم محمد شاعراً قومياً، عادل فريحات، الموقف الأدبي، ع314، 1999 م، ص11.

[5] ينظر: نديم محمد، د. أمين محمد إسبر، الأهالي للطباعة والنشر والتحقيق، ط1، 1994 م، ص11-13.

عاش شاعراً حزيناً متألماً ومات حزيناً، لاحقته الخيبات، والآلام والأوجاع لكنه لم يتوقف عن كتاباته الشعرية وإبداعاته، وقد كان الألم هو مصدر الإبداع عنده، إذ جاء شعره مجبولاً بمرارة الأسى والحزن.

ب- دلالات الألوان عند نديم محمد:

إن الألوان عنصر أساسي للمال الرباني المبثوث في ثنايا هذا الكون، وللألوان تأثير بالغ على النفس الإنسانية، والشاعر نديم محمد استطاع أن يوظف هذا العنصر بما يخدم أفكاره، ويعبر عن أحاسيسه وقد جاء ديوان (آلام) حافلاً بالدلالات اللّونية، وأكثر الألوان وروداً وتكراراً في هذا الديوان هي: الأحمر – الأبيض – الأسود – الأخضر.

1- اللّون الأحمر:

اللّون الأحمر هو لون العشق والحرب، لون النشاط والحيوية، ولون الجمال، يقول نديم محمّد[1]:

يا رجائي البكر المطهر يا عذراء حلمي يا فوق كل مرام

بالّذي لوّنت شفاهك يمناه وسواك فتنة للأنام

بالفتون المخضوب في خدّك الأحمر نديّ بالعطف حرّ أوامي

فقد ارتبط اللّون الأحمر بالحب، فالشاعر ينادي (عذراء حلمه). ومن المعروف أن نديم محمد عانى ما عاناه، وقد تركته الأحلام والآمال، وضاع منه زهو الشباب بسبب حبّه الفاشل، ففي هذا المشهد ينادي عذراء حلمه، يريد أن يخرج من واقعه الأليم قليلاً، فينادي المحبوبة ليعيش حالة الحب والسعادة، فجاء هنا اللّون الأحمر متضافراً مع مشهد الحب، وعندما يقول (خدك الأحمر) فيه دلالة على الجمال، والحيوية، والشباب.

وفي مشهد آخر يرتبط فيه اللّون الأحمر بتصوير الجمال، والحياة، والحركة، والنشاط، يقول[2]:

فعلى التل بقرة تلعب وتمرح بأعقاب ذيلها المبتور

ودروب الغابات أترعها السيل وغصت بالنوء والزمهرير

والقطيع النشيط غلغل في الحرج وراعيه ممعن بالصفير

والنباح القوي من كلبه الحارس دفء في سمعه المقرور

وتشف الغيوم عن حمرة الشمس وتعلو أغنية الشحرور

[1] **الأعمال الشعرية الكاملة، نديم محمد، دار الحصاد للطباعة والنشر، ط1، 1997 م، ج2، ص21.**

[2] **المصدر السّابق نفسه، ج2، ص109.**

إن مفاتن الريف كتاب يقرأه حلم الشاعر، فنراه يصور مشهد ريفي جميل فيه البقرة، البقرة والقطيع، والراعي، والكلب، فهناك حركة حيوية، ويصور ظهور الشمس بعد أن تشف الغيوم عنها، فقد ارتبطت حمرة الشمس بالجمال وعودة الحركة والحيوية إلى الريف.

وفي موقف آخر يدل اللّون الأحمر على الفتوة والشباب، يقول[1]:

وتلفت للشباب فما تنكر عيني...قلامة من شبابي

ورده ورده ولكنه أخرج للنور رأسه... من ضباب

وعناقيد كرمه أنضجتها الشمس فاستكبرت ... على الأعناب

وأغانيه ... لم يزل لونها أحمر لا من حزني ... ولا من عذابي

هنا يرد الشاعر على ادعاءات المحبوبة، فهي تدعي أنها تركته حطاماً مستنفد الشباب، وهو يرد عليها بأن شبابه أصبح أفضل، وأغانيه لا تزال حمراء، فاللّون الأحمر هنا يدل على الفتوة والشباب.

2- اللّون الأبيض:

ذكرنا سابقاً أن اللّون الأبيض يحمل دلالات الصفاء، والنقاء، والطهارة، يقول نديم محمد[2]:

وقبيل النحل المدندن حولي متعة السمع والحجى والشعور

وفراش سرب إلى جنب سرب لائب في رواحه... والبكور

وقريب مني خراف على التل صغار بيض ... كدر نثير

إن الشّاعر يصور حلمه بالعيش بالريف وحيداً، فالريف بما يحمله من دلالات الصفاء، والطهارة، والبساطة يتضافر مع دلالة لون الخراف البيض، وربما اللّون الأبيض ارتبط بالخراف؛ لأنّ الخراف مسالمة، واللّون الأبيض رمز السلام، والبراءة، والبساطة.

[1] **الأعمال الشعرية الكاملة، نديم محمد، ص83.**

[2] **المصدر السّابق نفسه، ج2، ص105.**

إن اللّون الأبيض يدلّ أيضاً على الانطلاق، والإشعاع، والإشراق، والجمال عند نديم محمد، ويرتبط أيضاً بالفرح، يقول[1]:

وتلوحين فوق هودجك البدع الموشى... بألف حلي يتيم

وتحوم العيون سكرى من الشوق على وجهك ... الوضيء الوسيم

ويرشون رسم خطوك بالتورد وبالطيب..... آية التكريم

وتحلين رأس أبيض وضاء رأس الدّعام .... عال، فخيم

فالشّاعر هنا يصور يوم عرس محبوبته، وذهابها إلى قصر الزواج، فيصور الهودج والعذارى، والطرحة البيضاء فقد ارتبط اللّون الأبيض بالفرح. ولكن ينزاح اللّون الأبيض عن دلالة الصفاء، والطهارة و... إلى دلالات أخرى عند شاعرنا، يقول[2]:

ألمي أبيض السمات – ولا أكتم نفسي في غيهب من وجود

نلاحظ هنا أنّ اللّون الأبيض ارتبط بالألم، فالشاعر نديم محمد تحرق في مجمرة الألم، فقد رافقه الألم طوال حياته، فيتحدث هنا عن نفسه المتألقة، وعن سمات ألمه الأبيض، وربما جعل اللّون الأبيض عالم النور الذي يخرجه من عالم الظلام الذي يعيشه، ولكن عالم النور هو (الألم)، وربما هنا يدل اللّون الأبيض على الاستسلام لهذه الآلام، فاللّون الأبيض رمز الاستسلام.

3- اللّون الأسود:

إن اللّون الأسود هو اللّون الذي يمثل حياة نديم محمد، فحياته مليئة بالخيبات والأوجاع و.... وجاء شعره مجبولاً بمرارة الأسى، والألم، والنزوع إلى الانعتاق.

[1] الأعمال الشعرية الكاملة، نديم محمد، ج2، ص70.

[2] المصدر نفسه، ص132.

فاللّون الأسود دلالة على التشاؤم، والكره والغدر، والمصائب، يقول[1]:

أين حمر الشهى المنداة بالرغد النفوح الشذى البرود النّطوف

شلعتها العواصف السّود في دنيا صراع على قلوع الحتوف

لعيون الوفاء مجلوّة الشّمس وللغدر ما أرى من كسوف

إن الشّاعر يتذكّر قصّة حبّه الرّيفيّ التي أفسدتها القصور، وإغراء المال، وغدر المحبوبة وخيانتها، فاليأس جرف آماله منذ غدر المحبوبة، فقد ارتبط اللّون الأسود باليأس، والتّشاؤم، والخيانة.

وفي مشهد يرتبط اللّون الأسود بالآلام، يقول[2]:

قد تركت نفسها ... حفرة سوداء في منحنى فؤادي العليل

هنا يصور الأثر الذي تركه غدرها في قلبه وهو حفرة، وهذه الحفرة سوداء، وهذه الحفرة هي جرح الحب، فقد دلّ اللّون الأسود هنا على شدة الألم والوجع.

وفي مشهد آخر يرتبط فيه اللّون الأسود أيضاً بالهموم والأوجاع، يقول[3]:

أهرمتني الهموم ... أهرمني البؤس وشيء ... من غيرتي الرعناء

وطواني الردى... ولم ألفظ الروح ببرد الخمول ... والإعياء

أنكرتني عيني ... فهل أنا إلا شبح أسود ... على الغبراء

وكما ذكرنا أن اللّون الأسود قد ارتبط بالغدر والخيانة، ففي البيت الآتي يتحدث عن خيانة الصديق، يقول[4]:

وصديق ... تعيث أظفاره السوداء في حرمة الصديق الحميم

فالصديق يخون أعز صديق له، فهذه الأظفار السوداء هي أظفار الغدر والخيانة.

[1] **الأعمال الشعرية الكاملة، نديم محمد، ج2، ص115.**

[2] **المصدر السّابق نفسه، ج2، ص124.**

[3] **المصدرالسّابق نفسه، ص29.**

[4] **المصدر السّابق نفسه، ص136.**

4- اللّون الأخضر:

إن اللّون الأخضر دائماً يرتبط بالحياة والنماء، يقول[1]:

أنت جوع اللظى إلى الورق الأخضر والزهر والنوى والقشور

فالمحبوبة هنا تطلب أن يعود كل شيء كما كان، وأن تعود الأيّام الجميلة والحياة، فهو يشبهها بجوع النّار إلى الورق الأخضر، فاللّون الأخضر يدل على الحياة، كما يدل على كل ما هو جميل، فاللّون الأخضر مرتبط بلون الطبيعة، وعادة ما يرتبط بوصف الطبيعة والريف، كما في قوله[2]:

بظلال الكروم ... بالأيكة الخضراء بالطير ... بالنجوم الخوابي

وفي مشهد خمري نراه يدخل اللّون الأخضر بطريقة فنيّة مميزة، يقول[3]:

تفح الأوجاع ملء ضلوعي كالثعابين ... في الرمال الظوامي

فدعوني أعصر من الخمر في جرحي فينشئ ... بالخمر ... جرح غرامي

اتركوني أطفئ بنيرانها الخضراء ناراً مشبوبة .... في عظامي

فالشّاعر هنا يعاني من الأوجاع والآلام، لذلك وجد في الخمرة دواء لجرحه النفسي، أمّا النار الخضراء المتولدة من الخمرة فهي النار التي ستطفئ نار المعاناة التي سكنت عظامه، فنار الخمرة الخضراء ذات الظلام، والأفياء، والبرود، ستطفئ نار الألم والمعاناة، فهذه النار الخضراء ستكون برداً وسلاماً، وعادة ما تكون النار حمراء، لكن الشاعر جعل النار خضراء لما يحمله اللّون الأخضر من دلالات الخصب، والنماء، والهدوء.

وقد كان استخدام نديم محمد لباقي الألوان نادراً جداً في ديوان (آلام)، وكان تأثير الألوان واضحاً في نفسه، استطاع من خلالها التعبير عن أحاسيسه.

خاتمة:

إنّ اللّون جاء أداة لإفصاح نديم محمد عن مشاعره، وجاء تجسيداً لأفكاره، وقد استخدم اللّون في مواقف مختلفة ودلالات حسب السياق الذي ترد فيه، فقد كان للمفردات اللّونية العديد من الوظائف عنده، وكان مدركاً لوظيفة الألوان إدراكاً عميقاً.

لقد انتزع الألوان من أشكالها الطبيعية ومزجها بعواطفه، وقدمها لنا بصورة صادقة مترجمة عن نفسه، فالألوان التي تصدر عن نفس الفنان تكون أكثر تعبيراً، وأكثر صدقاً في تفسير الألوان، وقد رأى هيراقليط أن الجمال المبطن أكثر روعة من الجمال الظاهر[4].

---

[1] **الأعمال الشعرية الكاملة، نديم محمد، ص148.**

[2] **المصدرالسّابق نفسه، ج2، ص86.**

[3] **المصدر السّابق نفسه، ص19.**

[4] **ينظر: فلسفة جمال الفن عند هيغل، عبد الرحمن البدوي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1966 م، ص40.**

وقد تميزت المشاهد التي تتضمن الألوان بغناها بالإيحاءات التي جعلتها متميزة، فقد عني بتخير مفرداته المؤثرة التي جعلت من هذه المشاهد خاصة، ومن أعماله الشعرية عامة عالماً يتفرد بذاته.

المصادر والمراجع:

*** القرآن الكريم.**

1- الأصول والفروع، ابن حزم، ج1، ت: محمد عاطف وزميليه، دار النهضة العربية، ط1.

2- الإضاءة المسرحية، عبد الوهاب شكري، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985 م.

3- الأعمال الشعرية الكاملة، نديم محمد، دار الحصاد للطباعة والنشر، ط1، ج2، 1997م

4- الثمرة المرضية، محمد بن طرخان الفارابي، (د.ط)، (د.ت).

5- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، 1982 م.

6- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، جمعية سيد يوسف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1997 م.

7- الصورة الشعرية يوسف حسن نوفل، دار الاتحاد العربي، ط1، (د.ت).

8- علم الدلالة (علم المعاني)، محمد علي الخولي، دار الفلاح، الأردن، 2001 م.

9- فلسفة جمال الفن عند هيغل، عبد الرحمن بدوي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1966 م.

10- كتاب الخيل، عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي، ت: محمد العربي الخطابي، بيروت، ط1، 1986 م.

11- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر.

12- اللغة واللّون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1997 م.

13- مختار الصحاح، بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار المعرفة للطباعة والنشر، باب (لون).

14- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، فصل اللام والنون وما يثلثهما.

15- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981 م.

16- الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال وزملاؤه، مج2، دار نهضة لبنان، بيروت، 1986 م.

ب- المجلات والدوريات:

- الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، سليمان بن علي الشعيلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، م2، العدد3، 2007 م.
- إيقاع الأزرق والأحمر في موسيقا القصيدة العربية، عبد العزيز المقالح، مجلة المعرفة اليمنية، العدد 3/2.

ت- رسائل الماجستير والدكتوراه:

- ☒ دلالات الألوان في شعر نزار قباني، أحمد عبد الله حمدان، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين – نابلس.
- ☒ دلالات اللّون ورموزه في الشعر الجاهلي، سمران نديم متوج، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، 2004 م.